﴿وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ٤﴾ [الأنعام: 4]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لمّا ذكرَ الحقُّ ﷻ في الآياتِ السّابقةِ ما يدلُّ منَ البيّناتِ على التّوحيد، بيَّن في هذه الآيةِ أنَّ الّذين طُمست فطرتُهم، فلم تدركِ الحقَّ لذاتِ الحقِّ لا تجدي معهم البراهينُ، مهما قويَت، ولا الآياتُ مهما بيِّنَت، فبيّن أنَّهم مُعرضون كمَن يرى ضوءَ الشّمس، فيضعُ غشاوةً لكيلا يراها، ومَن يسمعُ الحقَّ فيضعُ ثِقَلًا في أذنه، وما تأتيهم حجّةٌ إلّا أعرضوا[1].

على قلبِ المستكبِر غشاوةٌ، فلا ينفعُ برهانٌ، ولا يدخُلُ إيمانٌ

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَأۡتِيهِم﴾: فعل مضارع مبدوء بحرف المضارعة، والجذرُ اللّغويُّ منه (أتي)، ومنه أتى يَأْتي، ومصدرُه الإتيانُ بمعنى المجيء، ومن معانيه أنّه "مجيءٌ بسهولة... والإتيانُ يُقال للمجيء بالذّات وبالأمر وبالتّدبير، ويُقال في الخير وفي الشّرِّ، وفي الأعيان والأعراض"، ومعناه المحوريّ "وصولٌ أو تقدُّمٌ، وحضورٌ إلى مكان، أو شيء بتهيئة، أو قوّةٍ تُزيلُ ما يعوق"[2]، ومعنى الإتيانِ هنا البلوغُ والوصولُ؛ أي: أنَّ الآيةَ تبلغُ إليهم[3].

2) ﴿ءَايَةٖ﴾: اسمٌ مؤنَّثٌ، الأصلُ فيه (أأْية)، ثمَّ صارتا مدّةً، والآيةُ بمعنى العلامة والنّظر، وهي مُشتقَّةٌ منَ التّأيّي الّذي هو التّثبّتُ، والإقامةُ على الشّيء، والآيةُ تأتي بمعنى العلامة والشّخص والجماعة،

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2436.
(2) الجوهريّ، الصّحاح: (أتا)، والرّاغب، المفردات: (أتي)، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (أتي).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/31.

وسُمّيت آية القرآن بهذا الاسم لكونها مؤلّفةً منَ الكلمات والجمل، ولأنّها "طائفةٌ منَ القرآن، يتّصلُ بعضُها ببعض إلى انقطاعها، طويلة كانت أو قصيرة"[1]، و"الآيةُ هنا: العلامةُ على وحدانيّة اللّه وانفراده بالألوهيّة، وقيل: الرّسالة، وقيل: المعجز الخارق"[2].

3) ﴿مُعْرِضِينَ﴾: اسم فاعل مجموع، فعله منَ المزيد (أعرض) فهو مُعرِض، وجذرُه اللّغويُّ من (عَرَضَ)، والإعراضُ هو الصُّدود، وأعرض: أظهر عَرْضه؛ أي: ناحيتَه. "وأعرضَ بوجهه، وعن فلان هو من هذا، كأنّه انحرفَ عنه، وولّاه عُرْضه: جانبه، أو عارِضَه: جانِبَ وجهه لا مقدَّمه"[3]. والإعراضُ: التّولية، فمُعرضون؛ أي: مولّون عَرْضهم؛ أي: نواحيهم[4].

❁ المَعْنَى الإجْمَاليُّ:

إعراضُ المشركين عنِ الحقِّ، وصدودُهم عن البيِّناتِ الواضحةِ

يخبرُ اللّهُ تعالى عن إعراضِ المشركين، وشدَّةِ تكذيبِهم وعداوتِهم، بأنّهم إذا جاءتهم الحُجَجُ الواضحةُ والدّلالاتُ البيّنةُ على وحدانيّة اللّه - ﷻ - ، الدّالّةُ على الحقِّ دلالةً قاطعةً، وعلى صِدقِ رسولِه محمدٍ ﷺ، الدّاعية لهم إلى اتّباعه، حتّى أعرضوا عن قَبولها، ولم يؤمنوا بها، وانصرفَت قلوبُهم إلى غيرها، فهي لا تَنْفَعُ فيهم ولا تؤثّر[5]..

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دِلالَةُ الواوِ في: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم﴾:

بَيانُ كُفرِ المُشركينَ بآياتِ اللهِ سُبحانَهُ

الواوُ في قولِ اللّهِ ﷻ: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾ استئنافيَّةٌ، والكلامُ بعدَها مستأنَفٌ استئنافًا ابتدائيًّا، يُرادُ به بيانُ كُفرِهم بآيات اللّهِ

(1) الجوهريّ، الصّحاح: (أيا)، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (أي)، والرّاغب، المفردات: (أيّ).
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/436.
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (عرض).
(4) الخليل، العين، والرّاغب، المفردات، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (عرض).
(5) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 250، ونخبة من العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 128.

سُبحانه وإعراضِهم عنها بالكلّيَّةِ، بعدما بيَّنَ ﷻ في الآيةِ الأولَى إشراكَهُم بِهِ وإعراضَهم عَن آياتِ توحيدِهِ[1].

نكتةُ الالتفاتِ منَ الخطابِ إلى الغَيبةِ:

الإشعارُ بضربِ الخِطاب صَفْحًا عن أعمالِهم النَّشازِ

انتقلَت هذه الآيةُ منَ الخطاب في خواتيم الآية السّابقة بقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ إلى الغَيبةِ في هذه الآية في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾ على طريقةِ الالتفات؛ "للإشعارِ بأنَّ ذِكْرَ قبائحِهم قد اقتَضى أن يُضرَبَ عنهُمُ الخطابُ صَفْحًا، وتُعَدَّدَ جناياتُهم لغيرِهم ذمًّا لَهم، وتقبيحًا لحالِهم"[2]، فهو من باب المعاقبةِ بالمثل؛ فمَن قَبُحَ عملُه صحَّ في حقّه الالتفاتُ عنهُ.

بلاغةُ الاستِعارةِ في قَولِ اللهِ تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم﴾:

ظُهورُ الآياتِ الدَّالَّةِ على وَحدانيَّةِ اللهِ تعالى

في قَولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾ استعارَةٌ؛ حيثُ شُبِّهَ بلوغُ الآياتِ إلَيهِم بِمَجيءِ الجائي، فحُذِفَ المشبَّهُ وصُرِّحَ بالمشَّبهِ به على طريقةِ الاستعارةِ التَّصريحيَّةِ التَّبعيَّةِ، وذلك مبالغةً في بيانِ ظهورِ هذهِ الآياتِ وقوَّتِها، حتَّى صارَت بمنزِلَةِ المَحسوساتِ[3].

دِلالَةُ إيجازِ الحَذفِ في: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾:

طَيُّ ما دَلَّتِ القَرينَةُ عليه اختصارٌ لِلكلامِ

قَول اللهِ ﷻ: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾، فيه إيجازٌ بالحذفِ، وذلك بِحَذفِ ما يدلُّ على الجانبِ المأتيِّ منه، والتَّقدير: (وما تأتيهم من عِندَ ربِّهم آيةٌ من آياتِهِ إلّا كانوا عنها مُعرِضين)، وإنَّما حُذِفَ ذلك؛ لظهورِهِ من قولِه سُبحانَهُ: ﴿مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾[4].

دلالةُ حرفِ الجرِّ (مِن) في قوله: ﴿مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾:

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾، وردَ فيه حرفا

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/109، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/134.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/168.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/134.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/134.

(مِـن) للجنس في الموضعين، وأفـادتِ الأولى التَّـوكـيـدَ، والـثَّـانـيـةُ التَّبعيضَ

جرٌّ هما: ﴿مِّنْ﴾ الثّانية، وتفيد الجنسَ، أمّا الأولى فعلى تقدير: (وما تأتيهم آيةٌ)، وكثيرٌ منَ النّحويّين والمُعربين يجعلُها زائدةً[1]، ولفظ ﴿ءَايَةٍ﴾ مرفوعةٌ على الفاعليّة، وزيادة ﴿مِّنْ﴾ الأولى نظرًا إلى جانب الصّناعة النّحويّة، وفائدتُها التّوكيدُ الموصلُ إلى زيادةِ التّشنيعِ على المُخاطَبين المُعرضين عنِ الآيات، وتفيدُ استغراقَ الجنسِ، فضلاً عنِ التّوكيد؛ فإنَّ بينهما علاقةً ووصلًا"، كقولك: ما أتاني مِن أحد، والثّانية وهي قوله: ﴿مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾ للتّبعيض، والمعنى: وما يظهرُ لهم دليلٌ قطُّ منَ الأدلَّة الّتي يجبُ فيها النَّظرُ والاعتبارُ، إلّا كانوا عنه مُعرِضين"[2].

نُكتَةُ التَّعبيرِ بالفِعلِ المُضارِعِ في قَولِه: ﴿تَأْتِيهِم﴾ وبَراعَةُ الاحتِباكِ:

شِدَّةُ الإعراضِ، وقُـوَّةُ الإنـكـارِ، مَعَ تَجَدُّدِ وُرودِ الآياتِ

الفعلُ المضارِعُ ﴿تَأْتِيهِم﴾ مِن قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ معناهُ المُضيُّ، لقولِه تعالى: ﴿كَانُوا۟﴾، ونُكتَةُ استعمالِ المُضارِعِ الدِّلالَةُ على تجدُّدِ وُرودِ الآياتِ عليهم[3]، وهذا أدخَلُ في بيانِ شدَّةِ إعراضِهم وقوَّةِ إنكارِهم.

ويَحتَمِلُ أن يكونَ الفِعلُ باقيًا على دلالَتِه على الحال، ويَكون قولُهُ: ﴿كَانُوا۟﴾ ماضيًا بمعنَى المضارعِ لقولِه قبلُ: ﴿تَأْتِيهِم﴾ دالًّا على ذَلكَ[4].

وبالجَمعِ بينَ هذه المعاني يتحصَّلُ في الآية احتباكٌ، وهو المُسمَّى: حذفَ التَّقابُل أو الحذفَ المقابَليَّ، والتَّقدير: وما أتَتهُمْ أو تَأتيهِم مِن آيةٍ مِن آياتِ ربِّهم إلّا كانوا ويكونونَ عنها مُعرضينَ، فحُذِفَ مِن أوَّلِ الكلامِ (أتَتهُم) ما دلَّ عليه آخرُهُ ﴿كَانُوا۟﴾، وحُذِفَ مِن آخرِهِ (يكونونَ) ما دلَّ عليه أوَّلُه: ﴿تَأْتِيهِم﴾.

(1) العكبريّ، التّبيان: 1/480، وابن عجيبة، البحر المديد: 2/98.
(2) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 12/166.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/134.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/436.

نُكتَةُ إضافَةِ الآياتِ في: ﴿مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾:

أُضيفَتِ الآياتُ إلى الاسمِ الأحسن (الرَّبِّ) في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾ تعظيمًا لَها وتفخيمًا لشَأنِها، وذلك يَستَتبِعُ تهويلَ ما اجترَؤوا عليه من تكذيبِها والإعراضِ عنها[1].

تَهويلُ الجَراءَةِ على آياتِ اللهِ تعالى

سِرُّ إضافَةِ اسمِ اللهِ (الرَّبِّ) إلى الضَّميرِ (هُمْ):

في قولِ اللهِ تعالى: ﴿مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾، أُضيفَ فيه الاسمُ الأحسَنُ (الرَّبُّ) إلى الضَّميرِ (هُمْ) العائِدِ إلى المُشرِكينَ؛ للإيماءِ إلى أنَّه سُبحانَهُ أحسنَ إليهم بنصبِ الأدلَّةِ الدّالَّةِ على توحيدِهِ، وأرسلَ إليهم رسولًا، ورزقَهُم عقولًا يمكنُهُم الفِقهُ بها، ثُمَّ كان مآلُهُم أن أعرضوا، فالإضافَةُ واردَةٌ لقصدِ التَّسجيلِ عليهم بالعقوقِ لحقِّ الألوهيَّةِ[2].

جُحودُ إحسانِ اللهِ تعالى، ومُقابَلَتُه بالعُقوقِ والإعراضِ

بلاغَةُ القَصْرِ في قَولِ اللهِ تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم ... إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾:

في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ أسلوبُ قَصْرٍ، وطريقُهُ النَّفيُ والاستِثناءُ، وقد دلَّ القصرُ على إثباتِ أنَّ الإعراضَ عَنِ الحقِّ عادَةٌ لهم لا يتخلَّونَ عنها[3]، حتَّى كأنَّ لَيسَ لَهُم صفةٌ إلّا ذلكَ.

الإعراضُ عَنِ الحَقِّ عادَةٌ لَهُم لاينفكُّون عَنها

سرُّ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ على المسنَد:

في قولِه تعالى: ﴿إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾، قُدِّم الجارُّ والمجرور ﴿عَنْهَا﴾ على المُسندِ ﴿مُعْرِضِينَ﴾؛ للاهتمامِ والاختصاص، فكأنّه يريدُ القولَ: إنّهم مِن بعد ما جاءَتهم الآياتُ من ربّهم لهم جعلَ الإعراضَ عن هذه الآياتِ وحدَها دون سواها؛ لأنّ الاستثناءَ "دلَّ على أنّهم لم يكنْ لهم حالٌ إلّا الإعراض"[4]، وهو من بابِ القصرِ الادّعائيِّ؛

المبالغةُ في التَّشنيعِ، من بابِ القَصرِ الادّعائيِّ، ومراعاةِ الفاصلة

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/109.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/20، ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/134.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2436.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/134.

للمبالغة في التَّشنيع على هؤلاء المُعرضين؛ لأنَّ الإعراضَ عنِ الآياتِ يستحيلُ أن يكونَ مقصورًا عليها؛ فالمبالغةُ في القَصْر جاءَت اهتمامًا لهذا الأمر، ولذلك رأى العلماءُ أن يكونَ الوقفُ على ﴿مُعْرِضِينَ﴾[1]، وهناك سببٌ آخر لهذا التّقديم، وهو مراعاةُ الفاصلة[2].

دِلالَةُ التَّعبيرِ بِفِعلِ الكَونِ ﴿كَانُواْ﴾:

قَـصـدُهـم إلى الـعِـنـادِ؛ لِـئَـلَّا تَلزَمَهُم حُجَّةٌ في زَعمِهِم

في التَّعبيرِ بفعلِ الكَونِ ﴿كَانُواْ﴾ من قولِ اللهِ ﷻ: ﴿إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ إشعارٌ بأنَّ الإعراضَ صِفَتُهم على سبيلِ الدَّوامِ والاستمرارِ؛ قصدًا منهُم إلى العِنادِ؛ لئلّا تَلزَمَهُم في زَعمِهِم حجَّةٌ[3].

وجهُ التَّعبيرِ بالإعراضِ بينَ الحقيقةِ والمجازِ:

صـرفُ الـوجـهِ عـنِ الآيـاتِ الـمُـبـصـرَةِ، إعراضٌ عن آياتِهِ المقرَّرة

قولُه تعالى: ﴿إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾: التّعبير بـ ﴿مُعْرِضِينَ﴾ هنا يشملُ أن يكونَ من بابِ الحقيقةِ "فيشملُ المعنى الحقيقيَّ بالنّسبة إلى الآياتِ المُبْصَراتِ كانشقاق القمر، ويشملُ تركَ الاستماعِ للقرآن"[4]، ومن بابِ المجازِ؛ لأنّ حقيقتَه الإظهارُ والبروزُ فحقيقتُه جسميّةٌ، قال أبو حيّان: "والإعراضُ ضدّ الإقبال، وهو مجازٌ؛ إذ حقيقته في الأجسام"[5]، وقال الآلوسيّ: "وأصلُ الإعراض صرفُ الوجهِ عن شيءٍ منَ المحسوسات، واستعمالُه في عدم الاعتناءِ، أو ترك النّظرِ مجازٌ"[6].

دلالةُ التَّعبيرِ بالاسمِ في قولِهِ: ﴿مُعْرِضِينَ﴾:

الـدّلالـةُ على ثبوتِ المشركين وإصرارِهم على الكفر المُهين

في قوله تعالى: ﴿إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾: عبّر عن إعراضهم هنا بالصّيغةِ الاسميّةِ ﴿مُعْرِضِينَ﴾، "وإيثاره على أن يُقال: إلّا أعرضوا عنها، كما وقعَ مثلُه في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ

(1) السّخاويّ، جمال القرّاء، ص: 699.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/169.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/20، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2436.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/135.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/436.
(6) الآلوسّي، روح المعاني: 7/92.

﴿وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢﴾ [القمر: 2]؛ للدَّلالة على استمرارهم على الإعراض حسب استمرار إتيان الآيات"[1]؛ فدلالةُ الصّيغةِ الاسميّةِ على الثّبوتِ والاستمرارِ خلاف الصّيغةِ الفعليّةِ الدّالّةِ على التّجدّدِ والحدوث.

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/169.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العاشر، سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 10 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-62-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 10 : سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-62-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7560922 بتاريخ 2023/12/18م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»